دراسات الترجمة وقضايا الهوية
قراءة ما بعد كولونيالية في حركة الترجمة والتثاقف في المغرب القديم

د. بوسحابة رحمة
جامعة معسكر

ملخّص:

تثبت الدراسات المعاصرة في الترجمة أنه لا يمكن اعتبار الحضارة الغربيَّة مركزها الوحيد بالضّرورة، على الرغم من أهميّة إنجازاتها ابتداءاً من اليونان والرُّومان إلى النهضة الغربية المعاصرة، إذ لا يمكن إغفال ورشات التَّرجمة الأخرى التي كانت فاعلة هي الأخرى في التّاريخ، والتي لم تواتيها الظّروف الموضوعيّة لتدوين منجزاتها، ومن ضمنها حضارة المغرب القديم، التي كانت وبحُكم الضَّرورة الجغرافية تلجأ للترجمة من أجل التَّواصل مع الجار والصديق الوافِد، والغازي المستعمِر، ومع ذلك أُسقطت من دراسات الترجمة وتاريخها لندرة المعلومة التاريخية الموثّقة والمتنوعة المصادر.

وهذا المقال محاولة لدراسة حركة التثاقف التي حدثت بين سكان منطقة المغرب القديم وغيرهم من الأمم والحضارات والتي قد تُفيدنا في التَّدليل على وجود حركة ترجمة فاعلة لكون شعوب المنطقة كانت مثل غيرها تطمح إلى بناء حضارة قويّة.

الكلمات المفتاحية: دراسات الترجمة، الثقافة، التثاقف، المغرب القديم، الليبيون، المصريون، الفينيقيون، الرومان، ما بعد الكولونيالية.

Abstract

Contemporary translation studies has shown that western civilization can't be the center, although its achievements from Greece and Romans to Renaissance are important, thus we cannot neglect other translation workshops, which were also effective in history, such as the ancient civilization of Maghreb, which, due to its geographic situation, depended on translation as a means to communicate with the neighbor , the incoming friend and colonial occupier , yet it was dropped from the translation studies and its history because of the lack of information and documents.

This article is an attempt to study the movement of translation and acculturation that took place between the inhabitants of the ancient Maghreb region and other nations and civilizations, which may help us to demonstrate the existence of an effective translation movement in the region because people of the region ,as others, were aspiring to build a strong civilization.

phoenicia, Egypt, Key words: translation studies, culture, acculturation, Maghreb, postcolonial studies, Romans,

تقديم:

ظلَّ الخطاب الاستعماري الذي يحمل أحكاما قِيَمية بحتميّة التخلُّف الحضاري لبلاد المغرب الكبير منذ العهود السحيقة، مُهيمِنا على ساحة الدّراسات التاريخية الخاصّة بالمنطقة لفترة طويلة بدأت منذ الحملات الاستعمارية الأوروبية على شمال إفريقيا في القرن التاسع عشر للميلاد، في محاولة لتثبيت مجموعة من الأفكار المبرِّرة للاستعمار. وقد تبنَّ صياغة هذا الخطاب مجموعة من أساتذة جامعة الجزائر في العهد الاستعماري، وعلى رأسهم "ستيفان غزيل" Stephane Gzellو"ليونال بالو" Leonel Ballou،إضافة إلى مجموعة أخرى من الباحثين والسّاسة آنذاك.

وعلى الرغم من أن دراسات هؤلاء المؤرخين أنفسهم تُثبت وجود حضارة في المنطقة وثقافة وتثاقفا مع بقيّة الشّعوب المجاورة والغازِية على مرِّ التاريخ، مثل أيّ منطقة أخرى في العالم، إلَّا إن الفجوة بين المعلومة التاريخيّة وهذا الحكم القِيَمي ظلّت ماثلة إلى يومنا هذا. ويرى كثير من الباحثين والمفكرين أن نشأة واستمرار هذا الخطاب عن المنطقة يحمل في ثناياه مجموعة من الخلفيات التي أضمرها هؤلاء المؤرّخون، إذ أنه تكريس لفكرة المستعمِر وتأكيد لسيطرته، وإضفاء لصفة الشرعية على عمله السياسي والعسكري، ويرى المفكر المغربي "عبد الله العروي" أن رفض هؤلاء المؤرخين لفكرة التاريخ عن ماضي المغرب وإبقائه

في ميدان قبيل التاريخ،جاء لتبرير قبول المغاربة طواعية للحضارة العربية الإسلامية،لأنهم – أي المؤرخون والنخب الاستعمارية ككل-يتحسَّرون في الواقع على إخفاق صورة أخرى هي الصورة الرومانية"[1].

و قد حاول أبناء المنطقة نقض هذا الخطاب الاستعماري،و كسر الاحتكار الغربي للكتابة في تاريخ المغرب القديم و إثبات أخطائها كشكل من أشكال المقاومة الثقافية،إبَّان الاحتلال الأوروبي و بعده،و هي المهمّة التي على الرغم من العقبات التي اعترضت طريقهم نتيجة افتقارهم للمعلومة التاريخية الموثّقة والمتنوعة المصادر، إذ أن أغلبها مستقاة من مصادر إغريقية و لاتينيَّة وليست روايات محلية أو أخرى محايدة،و اندثار كثير من الآثار الخاصة بالمنطقة نتيجة البناء الذي تم على المنشآت القديمة مباشرة وليس بعيدا عنها، إضافة إلى افتقاد بعض الباحثين المغاربة للرؤية الوطنية المتكاملة. ولا يزال هذا الخطاب حاضرا في بعض النقاشات العامة والسِّجالات المُسيَّسة، ويندرج ضمن محاولات متواصلة لتجديد الأطماع الاستعمارية في منطقة تزخر بالثروات الطبيعية الهائلة، باعتبار أن مثل هذه المقولات تعزز في نفوس سكان المنطقة فكرة القابلية الأزلية للاستعمار.

وعلى الرغم من هذه العقبات إلّا أنّ هذا الخطاب قد بدأ في التراجع على المستوى البحثي الأكاديمي،بفعل تقدُّم العمل في مجال الحفريات، واكتشاف الآثار وفكّ رموزها، وتطوّر الدراسات الإثنوغرافية، ممّا أدّى إلى بروز كتابات مهمّة تنادي بإعادة كتابة تاريخ المغرب ونقض ما جاء في الكتابات الاستعمارية، بالكشف عن ماضي بلاد المغرب، والبحث عن المكوّنات التراثية، والمعالم الأساسية للهوية الثقافية المغاربية،وطبيعة حضارته الموغلة في القدم. وفي هذا الإطار تندرج هذه الورقة بتوسّلها بحقل معرفي جديد نسبيًّا هو "دراسات الترجمة" بما توفِّره من أدوات منهجية لدراسة الحضارات القديمة من خلال علاقتها بغيرها من الشعوب،و ذلك بدراسة بعض جوانب ماضي المنطقة في علاقتها بغيرها من الشعوب والحضارات القديمة التي تواصلت معها عبر الترجمة و ما نتج عنها من أشكال المثاقفة.

و في ظل غياب شبه كامل لأي مصادر تتناول هذا الموضوع، فإنّنا سنستند إلى افتراض أن تكون بلاد المغرب قد شهدت عبر عصورها السالفة حركة ترجميّة،باعتبار أنها منطقة مفتوحة على الشرق و الغرب و الشمال،فلا يعقل بذلك أن تعيش على الانغلاق. فما من مجتمع، مهما كان بدائيا، إلا وله ثقافته وتفاعله الثقافي مع ثقافات أخرى.ومن هنا سيكون الاستدلال على وجود "حركة ترجمة في المغرب القديم"من خلال ما نتج عنها من مظاهر مثاقفة مع الشعوب والحضارات التي عاصرته،خاصّة أنّ سكان المغرب القديم ظلّوا، في كل مراحل تاريخهم، يتحدثون لغتهم المحلية.

و لابد في البداية، و قبل الخوض في دراسة هذا الموضوع، من تحديد وتدقيق بعض المصطلحات الرئيسية الواردة في الدراسة، وحصر دلالاتها، وذلك بغرض إزالة الالتباس، الذي قد يحصل عند القارئ،نتيجة الاشتراك اللّفظي بين مفاهيم قديمة ومعاصرة من جهة،و تعدّد الدلالات للمصطلح الواحد من جهة أخرى :

– المغرب القديم: وهو المصطح الذي يطرحه مجموعة من الباحثين على رأسهم المفكر المغربي عبد الله العروي، بمعنى تطوّري حركي أكثر منه جغرافي، وهو المعنى الذي استقاه من خلال دراسته للأسطوغرافيا المغربية،أي التآليف التي كُتبت حول ماضي المنطقة[2]، و سيكون التعامل مع المغرب في هذه الورقة كوحدة انتسابية، كما يطرحها "أرنولد توينبي" ARNOLD TOYNBEE،أي الحضارة بما هي وطن ودولة وملّة ولغة وأخلاق ونظام معاشي في الوقت نفسه[3] ، وبذلك يشمل المفهوم الدول القطرية الحديثة التالية: ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب الأقصى وموريتانيا. أمّا صفة "القديم" فالمقصود بها الفترة التي سبقت الفتح الإسلامي.

– الليبيون: والمقصود بهم سكان المغرب القديم(البربر أو الأمازيغ)، وليس ليبيوا الخريطة القُطرية الحديثة، وهو الاسم الذي ورد تاريخيا في تلك المرحلة، ففي النصوص الهيروغليفية نجد المصريين يُسمُّون الشعوب القاطنة إلى غرب النيل بـ:"الليبو"،كما ورد الاسم في التوراة، وعند الإغريق يذكر كثيرا اسم ليبيا والليبيين،لكنه يطلق على القارة بأكملها[4].

الثقافة والمثاقفة: استُحدِث مفهوم"الثقافة" في عصر النهضة للتعبير عن" مجموع ثمرات الفكر في ميادين الفن والفلسفة والعلم والقانون وغيرها[5]" في تلك الفترة، لكن مفهومها يتعالق مع مفهوم الحضارة بشكل واسع،خاصّة في المراحل التاريخية القديمة، وتجدر الإشارة هنا إلى أن مفهوم الحضارة عند دارسي ما قبل التاريخ يعني أساسا الوسائل المادية[6] ، وبناءا على هذا المفهوم فان مدلول الثقافة و المثاقفة Acculturation، –بما هي اكتساب ثقافة مغايرة للثقافة الأصلية للفرد أو الجماعة–، سيتواءم مع هذا المفهوم المادي للحضارة في التاريخ القديم، فيشمل إلى جانب المنجزات الفكرية والأدبية والدينية، بعض الصناعات التقليدية والحربية، خاصَّة في الأزمنة المتقدمة جدا.

الدراسات ما بعد الكولونيالية: والتي لها تعريفات متعددة، لكن سنختار منها التعريف الذي يعنينا في هذه الورقة، أي باعتبارها تُعنى بدراسة الثقافات والمجتمعات و الأمم من حيث علاقات القوة التي ربطتها بسواها من الثقافات والمجتمعات و الأمم، أي الكيفية التي أخضعت بها الثقافات الفاتِحة الثقافات المفتوحة لمشيئتها، والكيفية التي استجابت بها هذه الثقافات لذلك القسر، أو تكيّفت معه، أو قاومته، أو تغلبت عليه[7]، والذي تعتبر الترجمة أهم وسائله.

دراسات الترجمة التقليدية و تغييب الحضارات القديمة:

الترجمة نشاط قديم، ظهر باختلاف الأمم، وتعدّد ألسنتها، واضطرارها للتواصل والتفاعل فيما بينها،وقد تحوّلت إلى موضوع مستقل للدراسة والبحث بعد النصف الثاني من القرن العشرين تحت مسمّى "دراسات الترجمة"،والذي يُعرّفه البروفيسور "جيريمي موندايJeremy Munday " بأنه"ذلك الفرع الأكاديمي الحديث الذي يعنى بدراسة نظرية الترجمة وظواهرها [8]، وبشكل عام هي دراسة وبحث الترجمة من جهة التنظير لها،بضبط منهجها، وترسيم الحدود بين اللغة الأصل والمستهدفة، بما يحمله ذلك من اعتبار للمكونات الثقافية والسياقية والإيديولوجية لكلا الحدين: النص الأصلي والمستقبِل، ومن جهة موضوعها بالتأريخ لها، باعتبارها تشمل المعارف والعلوم وكل نواحي الحياة، نقلا وتفاعلا منذ فجر التاريخ إلى اليوم.

وقد ظلّت دراسات الترجمة حبيسة الدوائر اللغوية في بداياتها، حيث احتضنتها اللسانيات في المراحل الأولى لتأسيسها،فكانت ذلك العلم اللغوي الصارم الذي يُعينها في معرفة بنية اللغات، وخصائصها، وسبل التواصل بينها.لكنها في الوقت نفسه، تسبّبت في الكثير من الضّرر للترجمة نتيجة التضييق الجغرافي الذي مارسته على وحداتها التحليليّو ،بحصرها في حدود الجملة أو النص في أحسن الأحوال، مع إغفال السياق بعناصره كعامل رئيس في فهم النص المراد ترجمته. لكن وبتطور نظريات الترجمة تدرّج التركيز، من الترجمة كعملية لغوية بحتة، إلى تفعيل جميع العوامل التي تسهم في إجراءات الترجمة من الفهم إلى النقل، ونتج عن ذلك اتجاه النظريات الحديثة، كالتأويلية والتداولية وغيرها، نحو التركيز على النص الهدف، بمكوّناته و مضامينه.

غير أن التطور الحاسم، الذي حصل في هذا الحقل المعرفي الجديد، هو ذلك الذي تمّ مع منتصف ثمانينات القرن الماضي، مع ازدياد ممارسة الترجمة في جميع أنحاء العالم، بفعل تصاعد العولمة، والانفجار الحاصل في المجال الالكتروني، مما أدى إلى تسليط الضوء بشكل متزايد على قضايا الاتصال بين الثقافات من خلال البحث في تاريخ الترجمة، فلم تعد الترجمة بذلك ضرورية للحصول على معلومات أكثر عن العالم فحسب، بل أصبحت أهميتها حاسمة لفهم بدايات الحضارات، وخاصة تلك التي لم تنل حظها من التعريف بعد،فالقرن الواحد والعشرون هو قرن السفر العظيم عبر الزمان والمكان كما تصفه "سوزان باسنت"[9] Susan Basnett، و ذلك بفعل تحول الاهتمام العالمي نحو دراسة الأصول الثقافية، و البحث في قضايا الهوية.

وبناءا على هذا التحوّل المفصلي في توظيف دراسات الترجمة، أصبحت الدراسات الأنثروبولوجية التي تتناول التواصل بين الثقافات، دراسات في الترجمة بالمعنى الدقيق، وذلك مع ظهور كتابات مثل مقالة طلال الأسد "في الترجمة الثقافية"، وكتاب يوهانز فابيان "اللغة والسلطة الكولنيالية"، وكتاب جيمس سايجل "وحيدا في نظام جديد"، و تحولت الترجمة بذلك إلى موضوع أساسي في كل تواصل وتفاعل اجتماعي سياسي بين العالمين الأول والثالث، بين المحدّثين والبدائيين، وبين المستعمِرين والمستعمَرين[10].

إن اقتصار دراسات الترجمة على الجانب اللغوي وقضايا التكافؤ في المعنى، لمدة تزيد عن ألفي سنة، على الرغم مما قدمته من نتائج وتحليلات وقواعد مهمة في الترجمة و طرائقها، إلّا أنها تسببت في تهميش الكثير من الثقافات والحضارات القديمة التي تعرضت لموجات كولنيالية متواصلة عبر التاريخ، وتغييب متعمد لمنجزاتها من طرف الغزاة، إذ أنه ونظرا لكون دراسات الترجمة، كما الدراسات اللغوية، لا تهتم بغير المصادر المكتوبة في التأريخ والتقعيد لحركتها،أسقطت من دراستها كثيرا من نشاطات الترجمة ومظاهر التثاقف القديمة لشعوب لم توثّق بالكتابة لمسارها في التاريخ، ومن ضمنه علاقاتها الثقافية مع الجيران و الغزاة، في مقابل اهتمامها الحصري بدراسة الحضارات والإمبراطوريات القوية التي وثّقت سيرها بالكتابة، كدراستها لنشاط الترجمة في حضارة بلاد الرافدين منذ نقل الأكاديين للنصوص الأدبية السومرية،و خاصّة ملحمة جلجامش، التي يشير كرامر–وهو أحد المتخصصين في تاريخ بلاد الرافدين– أنها انتقلت عبر الترجمة إلى اللغات الحورية و الحثية و غيرهما من لغات الشرق الأوسط،خلال فترات تاريخية سحيقة[11] ،كما أشارت إلى الترجمة في مصر القديمة، والتي كانت حاضرة في بلاط الفراعنة بغرض التبادل الدبلوماسي مع الشعوب المجاورة كالحثيين و السومريين، وتسهيل التبادلات الاقتصادية.

ومع هذا فإنّ دراسات الترجمة التقليدية عموما أولَت اهتمامها الجوهري بالترجمة في العالم الغربي رأسا آنذاك، وذلك بحصرها بداية التأمل والتنظير في الترجمة والمسائل المتعلقة بها على الرومان الذين ترجموا عن اليونان، التي غزو عاصمتها أثينا، وورثوا مجدها و تراثها الحضاري، وتصوير الحضارة اليونانية على أنها حضارة أصلية، لم تترجم عن غيرها، بفضل عظمتها وانتشار لغتها في جميع البلاد القائمة على البحر المتوسط، وفتوحات الإسكندر، ونظرتهم التحقيرية لمن لا يتحدث لغتهم.

ولم تزد أغلب المقاربات الترجمية عن هذا الحد في التأريخ للترجمة،رغم أن هذه الحضارات القوية لم تكن تتواصل فيما بينها فحسب، بل إن أكثرها كوّن امبراطوريات غزت شعوبا عدة لا تتحدث لغتها، مما يعني بالضرورة اضطرارها إلى استخدام قناة الترجمة للسيطرة وفرض ثقافتها، والاستفادة من الثقافات المغزوة، وذلك بارسال افراد من القوة الغازية ذوي موهبة لغوية كي يتعلموا لغات الشعوب المفتوحة وتعليم أفراد من الثقافة المفتوحة، ذوي موهبة لغوية،لغة الإمبراطورية الغازية، وما يترتب على ذلك من تفاعلات وتعاملات معقدة من الغزو والمقاومة، والاحتلال والاحتواء و الدعاية و التعليم و السيطرة و الخضوع الخ ، في الحالات الاسوء تعمل الامبراطوريات على تدمير شعوب و ثقافات كاملة، اما في الحالات الأفضل، فتحدث الاختلاط و الامتزاج الخصب بين الثقافات مما يجري دماء حياة جديدة في عروق الجماعات النائية المنعزلة[12].

ومن جملة الحضارات التي سقطت من دراسات الترجمة التقليدية تاريخيا، الحضارة البربرية (الأمازيغية أو حضارة المغرب القديم)، التي وُجدت منذ ما قبل التاريخ في شمال إفريقيا، رغم أن هذه الحضارة نشأت في منطقة تفاعل عالمي لم يكن ليتم لولا الترجمة، بحكم موقعها الجغرافي المفتوح على أوروبا شمالا، وإفريقيا جنوبا، ومصر غربا،فاستطاعت بذلك استيعاب عدد من الروافد الثقافية التي ساهمت في بنائها الذاتي خاصة، وأنها كانت طوال تاريخها الممتد منذ العصر الحجري الصقيل، عرضة للغزو، مُقاوِمة للأجنبي، الذي خرج دون إن يتحول المغرب إلى تابع ثقافي و لغوي له، ولا ننفي وجود تأثيرات أدت إلى تلاقح ثقافي[13].

حركة التثاقف في المغرب القديم:

التثاقف(أو المثاقفة) Acculturation هي عملية التغيير أو التطور الثقافي الذي يحدث حين تدخل جماعات من الناس أو شعوب بأكملها، بثقافات مختلفة، في اتصال وتفاعل عبر قناة الترجمة أساسا،يترتب عليه حدوث تغيرات في الأنماط الثقافية الأصليّة السائدة في الجماعات،و قد ظهر هذا المصطلح في حقل العلوم الإنسانية في حدود عام 1880م،لكنه اعتمد بشكل رسمي في سنة 1936م،وك ان الإنجليز يستعملون، بدلا عنه، مصطلح التبادل الثقافي (Cultural exchange)، في حين آثر الأسبان مصطلح التحول الثقافي (Transculturation)، وفضّل الفرنسيون مفهوم تداخل الحضارات (civilisations Interpenetration des) [14] ، إلا أن مصطلح المثاقفة Acculturation أصبح أكثر تداولا وانتشارا.

وبما أنه لم تنشأ الحضارة أساسا في المغرب القديم، وإنما انتقلت إليه من الشرق الأوسط [15]، فإن هذا يعني أن المنطقة شهدت حركة تثاقف منذ القدم. ويجمع المؤرخون على أن سكان المغرب القديم مروا بحضارة نيوليثية وبعد نيوليثية مبكرا قبل وصول الفينيقيين، فكانوا يستعملون آلات حجرية صقيلة ونحاسية، ويفرقون في هذا الإطار بين الحضارة الوهرانية التي بقيت في طور العهد الحجري القديم، والقفصية التي يربطونها بالجماعة التي مرت بإفريقيا الشرقية وهي حضارة نيوليثية، وُصفت بالضعيفة[16].

ويتحدث ستيفان غزيل، في الجزء الأول من مؤلّفه الضخم "تاريخ شمال افريقيا"[17] عن السُّكان البدائيين بالمنطقة، وعاداتهم وأدواتهم، وحضارتهم الحجرية، لكنه يعترف أن الدراسة الأنثروبولوجية عن هذه الفترة، لم تحقق تقدما كبيرا، لكن المتعارف عليه انه وكما جرى في كل مكان من الأرض فان حالات التزاوج والتوالد كانت عديدة بين أهالي المناطق المختلفة بشمال إفريقيا، لأن العلاقات الناتجة عن الجوار والتجارة، وضرورة الرحلات، والهجرات بسبب الحروب و المجاعات، وترحيل القبائل المغلوبة، كل ذلك يقرب بين الجماعات البدائية ويصهرها.

ويمكن بشكل عام تمييز مستويين من التثاقف في تاريخ المغرب القديم، بحسب تباينات القوة وقوة التأثر والتأثير بين الثقافة المغربية القديمة وغيرها من الثقافات، يتعلق المستوى الأول بالشعوب التي مرت بالمنطقة دون أن تحدث أثرا ثقافيا كبيرا، مثل الوندال الذين كان تأثيرهم ضعيفا ولم يمتزجوا بالأفارقة[18]، على الرغم من انضمام عدد كبير منهم للجيش الوندالي، لمحاربة الرومان. وشعوب و جماعات أخرى يذكر غزيل بعضا منها، مثل الإغريق الذين كانوا هم من سموا السكان باللبيين و النوميديين ، و اليهود الذين كان عددهم كبيرا في العهد الروماني، و أغلبهم عبرانيون يتَّصل نسبهم باليهود الذين نزحوا إلى سرنيكا في عهد البطالمة، و كانوا يُكوّنون جاليات متميزة عن بقية السكان، ومع ذلك هناك بعض الافتراضات، التي تحتاج إلى البرهنة، على أن الديانة اليهودية انتشرت عند نهاية العهود العتيقة في بعض القبائل المغربية. غير أنه يؤكّد أن الكثير من هؤلاء اليهود تلوح عليهم سمات البربرية و ليس فيها اثر للسامية[19].أما المستوى الثاني من التثاقف، وهو الأهم، فهو ذلك الذي تمّ بناءا على العلاقة بين سكان المغرب القديم والحضارات القوية آنذاك، سواء تلك التي ربطتها بها علاقات السلم أو الحرب:

1- مظاهر التثاقف بين المغرب والحضارة المصرية القديمة :

يعود التواصل بين المغرب القديم ومصر إلى أقدم العصور الحجرية، وقد خلّدت الآثار المصرية جيرانها الغربيين، حتى قبل ظهور الكتابة الهيروغليفية، وذلك في بعض "الصلايات "[20] التي تتضمن رموزا وأشكالا تصويرية. ومع ظهور العلامات الكتابية الأولى، نجد النصوص المصرية تشير إلى أسماء هؤلاء الجيران، وخاصّة قبيلتي "تحنو" و"تمحو" الليبيتين، اللتين تنحصر فيهما صلة مصر بالمغرب القديم، منذ بداية العصر التاريخي حتى بداية الدولة الحديثة.

وقد هيّأت المقومات الجغرافية والطبيعية لمنطقة غربي الدلتا، بحكم موقعها على الحدود، بأن تصبح مكانا لاستقبال المؤثرات الحضارية القادمة من شمالي إفريقيا منذ العصر الحجري، وبرغم الحروب والعداوة، التي ميزت مراحل طويلة في تاريخ المنطقتين، إلّا أنه كانت هناك علاقات وتثاقفات عدة، إذ تدلّ الرسوم الصخرية في الدلتا وشرقي المغرب على وجود عناصر مشتركة، نتيجة تواصل حضاري وليس مجرد مصادفة، من ذلك لباس لصيادين بدائيين مصنوع من الجلد، ووضع الريش فوق الرأس، إلى غير ذلك من المواضيع التي تدل على أفكار متقاربة لدى المصريين والليبيين.

كما امتدّ تأثر الشعبين ببعضهما إلى جوانب حضارية أخرى، وخاصة في الديانة و المعتقدات، حيث نجد العديد من العناصر الدينية المشتركة، كتجسيد الآلهة في صور حيوانية، وتذكر المصادر التاريخية أن لوحة الكلاب الشهيرة المنسوبة إلى الأمير انتف، من الأسرة الحادية عشر الطيبة في القرن 21 ق م(ينظر شكل 1)، -وهي أقدم دليل على وجود اللغة الليبية-، تحمل اسما بربريا هو "إبقرو" 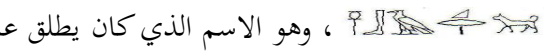 ، وهو الاسم الذي كان يطلق على الكلب السلوقي بلغة الطوارق[21]، ومن بين الأرقام المصرية فان الكلمة المستخدمة للرقم عشرة، وهي "مادجو"، جاءت من كلمة "مارو" البربرية[22] ، ويذكر "غزيل" أنّه من الثّابت أن هناك علاقة ما تربط اللغة الليبية باللغة القبطية، أي المصرية القديمة،فهما في الأصل من عائلة لغوية واحدة تسمى العائلة الحامية Chamitique [23]، ومع ذلك فإن عملية التثاقف، التي حدثت بين الشعبين بقيت ضعيفة إلى درجة كبيرة[24]، نتيجة احتفاظ كل منهما بشخصيته، وتقاليده الأصلية ولغته.[25]

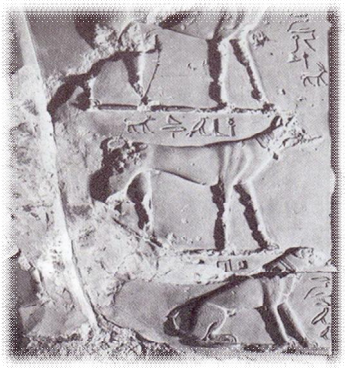

شكل رقم 1 ، لوحة الكلاب الفرعونية الشهيرة

2- مظاهر التثاقف بين المغاربة و الفينيقيين :

بدأت مرحلة استكشاف الفينيقيين في غربي المتوسط في أواخر القرن 12 ق م، وينسب كثير من الباحثين الحضارة المغربية القديمة بكليتها للفينيقيين، من تربية المواشي إلى صناعة الفخار دون ذكر للمغاربة ودورهم ، وهو الأمر الذي اعترض عليه الباحثون والمفكرون المغاربة، بل إن غزيل نفسه كتب قائلا:" لم ينتظر أهالي المغرب البحارة السوريين ليتعلموا تدجين المواشي والزراعة" لكنه ظل في الوقت ذاته يتساءل عن مصدر هذه الثقافة هل هو مبادرة ذاتية أم من تأثير خارجي [26]، غير أن الثّابت أن العلاقة بين الفينيقيين والمغاربة كانت قوية، إلى درجة التّثاقف والتمثُّل، ويمكن حصر مظاهر هذا التثاقف في عدة مظاهر من اللغة والدين إلى صناعة الفخار:

2-1- اللغة: كان لليبيين، عند قدوم الفينيقيين، حروف هجائية ولغة، فلما خالطوهم تأثّروا بلغتهم ومالوا إلى خطهم حتى أصبحت لغتهم الرسمية. وفي الوقت ذاته دخلت الفينيقية مفردات من اللغة الليبية فازدادت ثروة، لكنها تغيرت عن أصلها فسُمّيت البونيقية، والتي أُلِّفت بها تآليف في الفلاحة والملاحة والأسفار،منها رحلة حنون الذي ارتحل حول افريقية ورحلة عملقون الذي بلغ سواحل انجلترا[27].

2-2 كان للمغاربة القدامى آلهتهم وطقوسهم الدينية،التي لم تتغير إلّا شكليا في العصور اللاحقة، وعند قدوم الفينيقيين، حدث نوع من التمازج الديني،والذي يمثّله الإله بعل حمون والآلهة تانيت بني بعل، وهي الإلهة المغربية التي تقابل الإلهة عشتار السامية. كما يستدل من رسوم الكبش، الذي يحمل على رأسه قرص الشمس في أنصاب قرطاجة وسيرتا، على استمرار العبادة المغربية القديمة [28] .

2-3- وهي من العناصر الهامة التي تساعدنا في فهم روح الامتزاج بين المغاربة والفينيقيين آنذاك،بين اختلاط الكسر الفخارية البونية والمغربية لاسيما في تيبازة ولكسوس بالمغرب، إذ كان يغلب على رسوم الأواني الفخارية قبل التواجد الفينيقي محاكاة الطبيعة، ثم تطوَّرت فأصبحت بفضل الفينيقيين، تتّخذ خطوطا و أشكالا هندسية وفقا لما كان سائدا في فخاريات الشرق الأوسط[29] .

3- المغرب و القديم وروما: الاستخدام الإمبراطوري للترجمة:

يمكننا الحديث عن "ترجمة" ، وبشكل فعلي، في هذه المرحلة التاريخية الهامة من تاريخ المغرب القديم، ليس لتوفر مادة علمية ما حولها، فهذا أمر شبه مستحيل حاليا على الأقل، لكن لكون روما، أقوى إمبراطوريات ذلك الزمان، استطاعت تحقيق سيطرتها من خلال استخدام الترجمة كأداة للغزو الثقافي والذهني،لا سيَّما وأن أولى الآراء النظرية، التي وصلتنا مكتوبة حول الترجمة في التاريخ، تكوَّنت في البلاط الروماني وهو في أوج قوته على أيدي خطباء روما البارزين كشيشرون وهوراس وغيرهما، والتي لازالت تشكل مرجعية لكثير من المقاربات الترجمية. بل ويذهب بعض الدارسين إلى حد اعتبار الترجمة الوسيلة الكولنيالية الأهم، التي استخدمها الرومان للسيطرة على بقية الشعوب التي احتلوها وعملوا على رومنتها.

3-1- مشهد الارشاد الكولونيالي الروماني الاول :

اقتصرت مقاربات الترجمة التقليدية التي تناولت تاريخ الترجمة، على نقل الرومان للموروث الثقافي اليوناني إلى اللاتينية، والعمل على استلهام وتقليد الآداب اليونانية،بهدف تقوية الثقافة اللاتينية التي كانت متعثرة و تعاني من الهشاشة، فتعاملوا مع الأصل بأقل أمانة ممكنة،بل بمحوه أحيانا، بناءا على الفكرة الكولنيالية،التي خط أسسها النظرية الأولى الخطباء الرومانيون البارزون، من خلال إصرارهم على أخذ النص الأصلي أسيرا،والتصرف فيه وكأنه ملكية خاصة، فيما كان يسمى بالمحاكاة الحرة، و هذا النوع من الترجمة هو الذي يسميه أنطوان برمان،في أدبيات الترجمة المعاصرة،بالترجمة المتمركزة عرقيا Traduction ethnocentrique .

ومن أبرز هؤلاء الخطباء توليوس شيشرون Ciceron(106-43 ق م) الذي ميّز في عمليه"عن الخطيب(55ق م) و"أفضل أنواع الخطباء" 51(51 ق م) و غيرهما، ين ممارسته للترجمة، وطرائق سابقيه الذين يترجمون كلمة لكلمة، ويرى أن الأهم بكثير هو النجاح في استمالة الجمهور الهدف، وتطوير الخطيب معجمه ومهارته السجالية في اللغة الهدف، وليس اتباع النص المصدر بدقة. والشاعر والناقد الروماني هوراس: Horace، الذي دعى الشباب إلى تقليد النماذج الإغريقية، مبرزا أهمية محاكاة الشعراء الأقدمين، وسان جيروم القرن 4م Saint Jerome،الروماني المسيحي الذي ترجم الكتاب المقدس في مدة تزيد عن 15 سنة(من 390الى 405م)، توجت بظهور نصla vulgate الذي سيعتبر النص الرسمي للكنيسة الكاثوليكية فيما بعد،و قد فرق بين طريقتين في الترجمة "الكلمة بكلمة" أي الحرفية فيما يخص النصوص المقدسة باعتبار إعجاز الألفاظ، والترجمة الحرة للنص الدنيوي، قد كان يُنظّر للترجمة باعتبارها علاقة un rapport وليست نقلا Transport [30] .

ويعتبِر "اريك تشيفتيز"،منظر الثقافة الأمريكي،الذي قام في كتابه "شعرية الامبريالية"بمحاولة وضع الخطوط العامة لنظرية ما بعد كولنيالية في الترجمة،أن المقولة المؤسِّسة للترجمة الإمبراطورية هي تلك المستوحاة من عمل شيشرون في الابتكار، و هي

مقولة "وصول رجل قادر على تحضير البشر الآخرين"،التي يقوم من خلالها زعيم فصيح بإقناع بشر همج بأن يخضعوا لأوامر القانون والثقافة"، التي ضمّنها في نصّه التالي :

" كان الرجال مبعثرين في الحقول و مختبئين في مأوى الغابات حين جمعهم
و لمهم في مكان واحد،تبعا لخطة حيث أدخلهم إلى مهنة بالـغة الإفادة
و الشرف، مع أنهم صرخوا ضدها في البداية بسبب جـــــدتها، ثم حين
راحوا يصغون بالعقل و الفصاحة، و بانتباه شديد حــولهم من همـــــج
بريين إلى شعب لطيف و رقيق "

(ترجمة هـ. م هبل مع تعديل طفيف بحسب نقد تشيفيتز أورده تشيفيتز 1991 : 113)

ويرى تشيفيتز أن شيشرون يناقش في هذا النص مسألة الترجمة بشكل ضمني و ليس مباشر، حين يخاطب الخطيب الأسطوري، الذي يجلب الحضارة إلى عالم همج، أي الأجانب، أو أناس من قبائل مختلفة يتكلمون لغات متنوعة، هي بالنسبة لشيشرون مجرد صرخات بهائم مقارنة بفصاحة الخ[31]، وهكذا تعاملت روما مع غيرها من الشعوب التي غزتها، من خلال قناة الترجمة، بأخذ الأصل أسيرا حين يتعلق الأمر بتنمية الثقافة اللاتينية عبر الثقافات العريقة والغنية كالثقافة اليونانية، وازدراء غيرها من الثقافات "الهمجية"، ومحاولة رومنتها بمعنى تثقيفها.

ولم تكن بلاد المغرب التي غزاها الرومان، استثناءا في هذه السياسة الرومانية، فقد حاول الرومان، منذ هدمهم لقرطاجة عام 146 ق م، إخضاع البلاد لسيطرتهم، حتى تم لهم ذلك عند نهاية النصف الأول من القرن 1 م بهيمنتهم على موريتانيا الطنجية والقيصرية ونوميديا وكل الممالك الأمازيغية بإفريقيا الشمالية، وحاولوا رومنة البلاد، رغم أنهم وجدوا أمة لها لغتها وأدبها و دينها، مما أجبرهم على استخدام الترجمة بغرض تسهيل السيطرة والإخضاع، فيما يصطلح على تسميته اليوم بالترجمة الإمبراطورية، أو الترجمة في خدمة الإمبراطورية.

ولفهم واقع الترجمة والتواصل بين الرومان المستعمِرين، وسكان المنطقة المستعمَرين آنذاك، يمكننا تبني طرحين من مجموعة طروحات حول الترجمة والإمبراطورية، يقدمها ريشار جاكمون Richard Jacquemond، في دراسته التي ظهرت عام 1992، عنوان Translation and cultural hegemony [32]، تتعلّق الأولى بكون الثقافة المهيمِنة لا تترجم من أعمال الكتاب في الثقافة المسيطَر عليها سوى تلك التي تلائم تصوراتها وتخدم مصالحها، ومن ذلك على سبيل المثال، ترجمة كتاب "ماغون" في الفلاحة، الذي ترجمه والرومان إلى لغتهم واعتمدوه خصوصا في تنمية النباتات في إفريقيا[33]، أي أنه ترجم لارتباطه بالمصلحة العامة للإمبراطورية التي كانت بحاجة إلى معرفة أفضل السبل والطرق لاستغلال ثروات المنطقة.

أما الطرح الثاني، الذي يقدمه جاكمون، فيتمثل في نزوع كتاب الثقافة المسيطر عليها ممن يحلمون بان يقرأهم جمهور واسع، إلى الكتابة من أجل الترجمة إلى اللغة المهيمِنة، وهذا يتطلب قدرا من الانصياع للصور النمطية والامتثال لها، ويبدو أن هذا النمط انتشر بشكل واسع في تلك المرحلة بين الكتاب الأمازيغ خاصة في ظل فرض اللغة اللاتينية على السكان، ومنع الكتابة بغيرها، منذ القرن الثاني للميلاد، وهو ما عبر عنه أوغسطين بقوله:" إن الدولة الرومانية التي تعرف كيف تحكم الشعوب، لم تفرض على المغلوبة منها سيطرتها السياسية فحسب، بل لغتها أيضا "، أقاموا المسارح والنوادي وبنوا المدارس وكانت قرطة و مدوروس من أشهر المدن التي يؤمها طلبة التعليم الثانوي[34].

وبرز في هذا الاطار مجموعة من الكتاب البربر الذين ذاع صيتهم في عالم الآداب اللاتينية والإغريقية،كالشاعر مانيليوس Manilius الذي عالج موضوع معرفة الغيب، وكرنتيوس الفيلسوف الرواقي الذي أصبح شيخ مدرسة بروما،لكن أعظم هؤلاء

جميعا، نجد أوغسطين الذي تميز في الفلسفة اللاهوتية، وفي الأوطوبيوغرافيا، إذ يعتبر مؤلفه 'اعترافات التوبة" أول سيرة في الثقافة الإنسانية، والتي انتشر جنسها الأدبي فيما بعد بين مثقفي ومبدعي البحر الأبيض المتوسط. وأبوليوس Apulius، النوميدي الذي تأثّر بالثقافتين اليونانية واللاتينية، وكان يكتب في لغتيهما بنفس المستوى و الاسلوب، وكان شاعرا متنوع الأغراض والمقاصد، ومن دواوينه"الأزاهير"، لكن أهم انجازاته كانت في المجال السردي فكتب أول رواية في تاريخ الفكر الإنساني و هي رواية "الحمار الذهبي" في احد عشر جزءا،وتتخذ هذه الرواية طابعا اجتماعيا قائما على السخرية وانقد والتعريض بممارسة السحر، ويشير داخل متنه الروائي إلى أنه تاثّر بمجموعة من النصوص السردية القصصية الإغريقية، ولازالت الرواية تطرح جدلا واسعا حول لغة كتابتها هل هي الأمازيغية أم البونية أم اللاتينية أم الإغريقية. كما برز و في مجالات أخرى كثير من المثقفين البربر في العهد الروماني،ومن أهمهم الملك يوبا الثاني الذي كتب مؤلفات كثيرة، في ميادين متنوعة، حتى أن مثقفي أثينا كرّموه و وضعوا له تمثالا جليلا .

إن كل هذه التآليف، التي أنجزها مثقفو المغرب في العهد الروماني، والتي لم تصلنا كاملة مع الأسف، تثبت أن عملية تثاقف قد حدثت بين البربر والرومان، خلال تلك المرحلة الطويلة من الهيمنة، التي امتدت إلى أكثر من أربعة قرون، لكنها في الوقت ذاته تطرح إشكالية حول طبيعة هذا التثاقف، وتداعياته السلبية والايجابية على ثقافة المنطقة وتاريخها ومستقبلها فيما بعد، فعامة البربر، على عكس أكثر النخب السياسية والثقافية والعسكرية التي استسلمت للرومنة، ظلت تقاوم كل أشكال السيطرة الرومانية، ومنها المقاومة الثقافية، فحافظوا على لغتهم الليبية القديمة للتخاطب فيما بينهم، وفي المجال الديني، اعتنق البربر المسيحية، منذ القرن 2 م، لكنهم ظلوا يعادون امبراطور روما،وكان أساقفتهم يميلون إلى الاستقلال عن أسقف روما، وحين تحولت روما بشكل رسمي إلى المسيحية مع قسطنطين عام 313 م، تهافت المغاربة على الحركة الدوناتية- نسبة إلى الأسقف دونات- المنشقة عن الكنيسة الكاثوليكية، وأعطوا لكنيستهم المحلية صبغة قومية واضحة دون أي اعتبار لمفهوم الكثلكة، حتى أن هذا التشقق تسبب في مجابهات دموية كثيرة، لمدة قرن كامل، قاد المعركة من الجانب الكاثوليكي أوغسطين معتمدا بشكل كامل على السلطة المدنية، وكبار ملاك الأراضي، وانتصر سنة 412 م لكنه لم ينعم طويلا به بوصول الوندال عام 439 م35، ولم يكن أوغسطين، بدفاعه المستميت عن الكنيسة الأم، مدافعا عن دينه فحسب، بل عن سياسة الرومنة ككل، فهو كان يرى في روما راعية العالم، والأصل الذي لا يجب أن يحيد عنه المغاربة، وهو ما يفسّره نزوعه إلى مبدأ "اللاترجمة"، و بحق المترجم في المحافظة على غموض الأصل[35].

خاتمة

وفي الأخير فإن هذه الورقة لا تدعي الإلمام بالبحث التاريخي في مسألة حركة الترجمة في المغرب القديم، ولا الاستناد على أي دراسة تناولت هذا الموضوع من قبل، بل من اقتناعنا بحتمية وجود مثل هذه الحركة الترجمية في تلك المرحلة لا محالة،بسبب الاختلاف اللغوي بين سكان المغرب القديم و باقي الجماعات والشعوب التي ربطتها بها علاقات متواصلة، ودليل ذلك المظاهر التثاقفية المختلفة، الماثلة للعيان إلى يومنا هذا.

وإن أكثر ما قد يقدمه هذا البحث، هو طرق باب هذا الموضوع، وليس معالجته بشكل كامل، لأن ذلك لا يكون إلا في إطار مشروع شامل، يتعاون في انجازه مجموعة من الباحثين في تخصّصات مختلفة، كالألسنية والترجمة والإثنوغرافيا والأنثروبولوجيا وعلم الآثار وغيرها، ويحتاج هذا المشروع إلى أرضية فكرية، ورؤية وطنية، تعمل على نقض الخطاب التحقيري، الذي يسيء لماضي أمتنا وحاضرها و مستقبلها، وتفكيك الحتميات المختلفة التي تفسر تاريخنا بشكل متحامل، فتاريخ

المغرب القديم ليس ثابتة بنيوية، لا يتفاعل مع غيره من الحضارات، بل هو حلقات من التأثر والتأثير، لم تصلنا تفاصيلها كاملة، لكن آثارها وصداها لا يزالان موجودين في وجدان المغاربي اليوم.

وإن مقولات "الحلقة المفقودة في تاريخ المغرب من الفترة الممتدة بين العصور الحجرية وقدوم الفينيقيين"،و"حتمية التخلف المغربي"،و"تنكر البربري لذاته"،و"عدم قدرته على التفاعل مع غيره" تستبطن محاولة لئيمة،لتصوير اعتناق البربري للإسلام على أنه خطأ تاريخي، و أنه ضيّع في مقابله فرصة ذهبية للانصهار في حضارة روما، وهو خطأ كان بإمكان البربري استدراكه مع فرنسا، لكن الواقع أثبت أن هذا البربري المقاوم على مرّ التاريخ،حقّق حلمه بالانعتاق الفكري والروحي تحت مظلة الإسلام ،فقبل به طواعية كما تقبّل الديانات التوحيدية الأخرى منذ القدم.

الهوامش

[1]– ينظر عبد الله العروي مجمل تاريخ المغرب ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء و بيروت، الطبعة الخامسة 1996 ، ص 52.

[2]– م ن ، ص 33

[3]–ينظر عبد الله العروي مفهوم التاريخ ، المركز الثقافي العربي، المغرب الطبعة الرابعة 2005، ص 285 و بعدها.

[4]– ينظر محمد الهادي حارش، التاريخ المغاربي القديم السياسي و الحضاري منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي المؤسسة الجزائرية للطباعة،ص 21

[5]– مالك بن نبي ، مشكلة الثقافة ، ترجمة عبد الصبور شاهين،دار الفكر دمشق،2000م ،ص 25

[6]– عبد الله العروي ،مجمل تاريخ المغرب ص 42.

[7] ينظر ،دوغلاس روبنسون ، الترجمة و الإمبراطورية ، نظريات الترجمة ما بعد الكولونيالية، ترجمة ثائر ديب، المجلس الأعلى للثقافةمصر، ط 1، 2005 ص 28

8 -Munday Jeremy, Introducing translation studies: Theories and Applications, Rutledge 2001 p 01

[9]– ينظر:سوزان باسنت،دراسات الترجمة، ترجمة و تقديم د فؤاد عب المطلب، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب ،وزارة الثقافة – دمشق 2012 ص من 13الى 15

[10]– ينظر دوغلاس روبنسون ، م س ، ص من 7 إلى 10

[11]– ينظر حسن البحراوي ، م س، ص 18

[12]– ينظر دوغلاس روبنسون ، م س ص22 و 24

[13]– ينظر د الحسين الادريسي ، الحقوق الثقافية الامازيغية، التمثلات و الحاجيات، مجلة ثقافات ، كلية الاداب جامعة البحرين 2010 ص 86

14 -Voir -Roger Bastide“ ،Acculturation”, Encyclopedia Universalis ،http://www.universalis.fr/

[15]– ينظر عبد الله العروي، م ن ،ص 92.

[16]– ينظر م ن، ص 45

[17]– ينظر ستيفان غزيل، تاريخ شمال افريقيا القديم،ترجمة محمد التازي سعود، الجزء 1، مطبوعات اكاديمية المملكة المغربية، الرباط 2001 م،ص 236

[18]– م ن ،ص 232

[19]– ينظر م ن ،ص 234

[20]– الصلايات هي ألواح من الطين أو الحجر كانت تستخدم في طحن مستحضرات التجميل عند الفراعنة.

[21]– ينظر بن السعدي سليمان، علاقات مصر بالمغرب القديم حتى القرن السابع ق م ، أطروحة دكتوراة في التاريخ القديم، قسم الآثار . جامعة قسنطينة، ص 45، 46

[22]– نيقولاس اوستر، امبراطوريات الكلمة، ترجمة د محمد توفيق البجيرمي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 2011، ص 187

[23]– ينظر ستيفان غزيل، م س ، ص 258

[24]– ينظر نيقولاس اوستر، م س، ص 187 .

[25]– ينظر بن السعدي سليمان ، م س ،ص 34 وما بعدها .

[26]– ينظر عبد الله العروي، مجمل تاريخ المغرب ص 44، 45

[27]– ينظر مبارك بن محمد الميلي، تاريخ الجزائر في القديم و الحديث ج 1 ، المؤسسة الوطنية للكتاب، ص 135،136، 166

[28]– ينظر الهادي حارش،م س،ص 147

[29]– ينظر محمد الصغير غانم، المظاهر الحضارية و التراثية لتاريخ الجزائر القديم ، الجزء 2 دار الهدى الجزائر ط 2011،:ص من 321 إلى 329

[30]– ينظر أنطوان برمان،الترجمة و الحرف أو مقام البعد، ترجمة وتقديم د عز الدين الخطابي ،مركز دراسات الوحدة العربية، ط 1، 2009 ص124 ،

[31]– ينظر دوغلاس روبنسون، م س ، ص 103

[32]– ينظر م ن ص 52

[33]– ينظر مبارك بن محمد الميلي، م س ، ص 136

[34]– ينظر مبارك الميلي م س ص 29

[35]- ينظر حسن البحرواي، م س ، ص 126

قائمة المراجع المستخدمة

- الحسين الادريسي ، الحقوق الثقافية الامازيغية، التمثلات و الحاجيات، مجلة ثقافات ، كلية الاداب جامعة البحرين 2010
- أنطوان برمان،الترجمة و الحرف أو مقام البعد، ترجمة و تقديم د عز الدين الخطابي ،مركز دراسات الوحدة العربية، ط 1، 2009
- بن السعدي سليمان، علاقات مصر بالمغرب القديم حتى القرن السابع ق م ، أطروحة دكتوراه في التاريخ القديم، قسم الآثار . جامعة قسنطينة،
- حسن البحراوي، أبراج بابل، شعرية الترجمة من التاريخ الى النظرية، منشورات كلية الاداب و العلوم الانسانية، الرباط سلسلة بحوث و دراسات 44، الطبعة الاولى 2010
- دوغلاس روبنسون ، الترجمة و الإمبراطورية ، نظريات الترجمة ما بعد الكولونيالية، ترجمة ثائر ديب، المجلس الأعلى للثقافة القاهرة مصر، ط 1، 2005
- عبد الله العروي، مجمل تاريخ المغرب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء و بيروت، الطبعة الخامسة 1996.
- عبد الله العروي مفهوم التاريخ.المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء المغرب،الطبعة الرابعة 2005
- ستيفان غزيل،، تاريخ شمال افريقيا القديم،ترجمة محمد التازي سعود، الجزء 1، مطبوعات اكاديمية المملكة المغربية، الرباط 2001 م
- سوزان باسنت،دراسات الترجمة، ترجمة و تقديم د فؤاد عبد المطلب، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب ،وزارة الثقافة – دمشق 2012
- مالك بن نبي ، مشكلة الثقافة، ، ترجمة عبد الصبور شاهين،دار الفكر دمشق،2000م
- محمد الصغير غانم، المظاهر الحضارية و التراثية لتاريخ الجزائر القديم ، الجزء 2 دار الهدى الجزائر ط 2011
- محمد الهادي حارش، التاريخ المغاربي القديم السياسي و الحضاري منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي المؤسسة الجزائرية للطباعة بدون سنة طبع –s
- مبارك بن محمد الميلي، تاريخ الجزائر في القديم و الحديث ج 1 ، المؤسسة الوطنية للكتاب، بدون سنة طبع.
- نيقولاس اوستر، امبراطوريات الكلمة، ترجمة د محمد توفيق البجيرمي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 2011:
- Munday Jeremy, Introducing translation studies, Theories and Applications, Rutledge 2001
- Roger Bastide“ ،Acculturation”, in Encyclopedia Universalis, http://www.universalis.fr/.